بوا صحابنا البراهين حتى ظلت اعناقهم لها خاضعين قال محمد بن الحسن رحمه الله ان تكلم اصحاب
الحديث يوما فبلسان الشافعي يعني لما وضع من كتبه وقال الحسن بن محمد الزعفراني
كان اصحاب الحديث رقودا فايقظهم الشافعي فتيقظوا وقال احمد بن حنبل رحمه الله
ما احد مس بيده محبرة ولا قلما الا وللشافعي في رقبته منة فهذا قول امام اصحاب
الحديث واهله ومن لا يختلفون في ورعه وفضله ومن ذلك ان الشافعي رضي الله
عنه مكنه الله من انواع العلوم حتى عجز لديه المناظرون من الطوايف واصحاب
الفنون واعترف بتبريزه واذعن الموافقون والمخالفون في المحافل المشهورة
الكبيرة المشتملة على ايمة عصره في البلدان وهذه المناظرات معروفة موجودة في كتبه
رضي الله عنه وفي كتب الايمة المتقدمين والمتاخرين وفي كتاب الام
للشافعي رحمه الله من هذه المناظرات جمل من العجايب والايات والنفايس الجليلات
والقواعد المستفادات وكم من مناظرة وقاعدة فيه يقطع كل من وقف عليها
وانصف وصدق انه لم يسبق اليها ومن ذلك انه تصدر في عصر الايمة
المبرزين للافتا والتدريس والتصنيف وقد امره بذلك شيخه ابو خالد مسلم
ابن خالد الزنجي امام اهل مكة ومفتيها وقال له افت يا ابا عبد الله فقد
والله ان لك ان تفتي وكان للشافعي اذ ذاك خمس عشرة سنة واقاويل اهل عصره في هذا كثيرة
مشهورة واخذ عن الشافعي العلم في سن الحداثة مع توفر العلما في ذلك العصر
من الدليل الصريح لعظم جلالته وعلو مرتبته وهذا كله من المشهور المعروف
في كتب مناقبه وغيرها ومن ذلك شدة اجتهاده في نصرة الحديث واتباع السنة
وجمعه في مذهبه بين اطراف الادلة مع الاتقان والتحقيق والغوص التام
على المعاني والتدقيق حتى لقبه حين قدم العراق بناصر الحديث وغلب في عرف
العلما المتقدمين والفقها الخراسانيين على متبعي مذهبه لقب اصحاب الحديث
في القديم والحديث وثبت روينا عن الامام ابي بكر محمد بن اسحق بن خزيمة
المعروف بامام الايمة وكان من حفظ الحديث ومعرفة السنة بالغاية

العالية انه سئل هل تعلم سنة صحيحة لم يودعها الشافعي كتبه قال لا ومع هذا
فلاحاطة الشافعي رضي الله عنه لكون الاحاطة ممتنعة على البشر فقال ما قد ثبت
عنه رضي الله عنه من اوجه من وصيته بالعمل بالحديث الصحيح وترك قوله
المخالف للنص الثابت الصريح وقد امتثل اصحابنا رحمهم الله وصيته وعملوا بها
في مسايل كثيرة مشهورة كمسالة التثويب في الصبح ومسالة اشتراط التحلل في
الحج بعذر وغير ذلك وستراها في مواضعها ان شا الله ومن ذلك تمسكه بالاحاديث
الصحيحة واعراضه عن الاخبار الواهية والضعيفة ولا نعلم احدا من الفقها
اعتنى في الاحتجاج بالتمييز بين الصحيح والضعيف كاعتنايه ولا قريبا منه
رضي الله عنه ومن ذلك اخذه رضي الله عنه بالاحتياط في مسايل
العبادات وغيرها كما هو معروف من مذهبه ومن ذلك شدة اجتهاده
في العبادة وسلوك طرايق الورع والسخا والزهادة وهذا من خلقه وسيرته مشهور
معروف لا يتمارى فيه الا جاهل او ظالم عسوف فكان رضي الله عنه بالمحل الاعلى
من متانة الدين وهو من المقطوع بمعرفته عند الموافقين والمخالفين وليس
يصح في الاذهان شي اذا احتاج النهار الى دليل واما سخاوه وشجاعته
وكمال عقله وبراعته فانه مما اشترك الخواص والعوام في معرفته فلهذا لا استدل
له لشهرته وكل هذا مشهور في كتب المناقب من طرق ومن ذلك ما جا في الحديث
المشهور ان عالم قريش يملا طبق الارض علما وحمله العلما من المتقدمين وغيرهم
من غير اصحابنا على الشافعي رحمه الله واستدلوا له بان الايمة من الصحابة رضي الله عنهم
الذين هم اعلام الدين لم ينقل عن كل واحد منهم الا مسايل معدودة اذ كانت فتاويهم
مقصورة على الوقايع بل كانوا ينهون عن السوال عما لم يقع وكانت هممهم مصروفة
الى الجهاد لكفار لاعلا كلمة الاسلام والى مجاهدة النفوس والعبادة فلم يتفرغوا
للتصنيف واما من جا بعدهم وصنف من الايمة فلم يكن فيهم من يقارب الشافعي
ولم يتصف ببعض الصفة احد قبله ولا بعده وقد قال الامام ابو زكريا يحيى

Copyright © King Saud University